

مدينة ودمدني

(دراسة تاريخية في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي)

(1504 - 1989م)

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

د. مهند فاروق محمد أحمد

أستاذ علم الاجتماع المساعد - جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية

د. عبدالعزيز حسن فضل البصير

المستخلص:

جاءت هذه الورقة بعنوان «مدينة ودمدني: دراسة تاريخية في التطور السياسي والاقتصادي الاجتماعي -1504 1989م» وقد هدفت الورقة للتعرف على التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني (-1505 1989م) باستعراض أهم ملامح تلك التطورات، تنبع أهمية الورقة في كونها تتناول تاريخ تطورات واحدة من أهم المدن السودانية في العصر الحديث، وتنطلق الورقة من فرضية مفادها أن كل الأنظمة التي مرت على حكم السودان كان لها إهتمام كبير بالعمل على تطوير مدينة ودمدني بما لها من أهمية، وقد استخدمت الورقة المنهج التاريخي الذي يقوم على عرض الحقائق وسردها وتحليلها. وخلصت الورقة إلى عدة نتائج من أهمها أن مدينة ودمدني لها تاريخ حافل وتعتبر من أهم المدن السودانية. كما شهدت المدينة طوال تاريخها الطويل العديد من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة، مما يدل على أهمية هذه المدينة.

The City of Wadmadani
(A Historical Study in the Political, Economic and Social
Development)
(1504 -1989AD)

Muhand Faroug Mohamed Ahmed

Abdulaziz Haasan Fadlalbaser Ali

Abstract:

This paper came under the title “The City of Wadmdni: A Historical Study in the Political, Economic and Social Development 15041989-AD”. The paper aimed to identify the political, economic and social developments of Wadmadani (15051989-AD) by reviewing the most important features of those developments. The importance of the paper stems from the fact that it deals with the history of single developments. One of the most important Sudanese cities in the modern era, and the paper starts from the premise that all the regimes that passed the rule of Sudan had a great interest in working on the development of the city and Wadmadani with its importance, and the paper used the historical approach that is based on the presentation, narration and analysis of facts. The paper concluded with several results, the most important of which is that the city of Wadmadani has a long history and is considered one of the most important Sudanese cities. The city has witnessed, throughout its long history, many important political, economic and social developments, which proves the importance of this city

المقدمة:

ربما تكون الكتابة والتوثيق للمدن بشكل عام وللمدن التاريخية على وجه الخصوص من أهم شواهد التاريخ الحي التي تقف نابضة بالحياة على التاريخ الإنساني، فهذه المدن والأماكن ظلت على الدوام مركز استقطاب للبشر لما تمثله من أهمية في جميع مجالات الحياة الإنسانية التاريخية والجغرافية والدينية والثقافية والمعمارية، ومن هذا المنطلق جاء التوثيق والكتابة لهذه المدينة المهمة في تاريخ السودان والتي أسهمت ولا زالت تسهم في هذا التاريخ.

الموقع الجغرافي والتضاريس :

تقع مدينة ودمدني عاصمة ولاية الجزيرة بين خطي عرض وطول 14. 19 درجة شمالاً، و33. 31 شرقاً. وتتميز بموقعها الجغرافي في وسط السودان حيث تقع على الضفة اليسرى من النيل الأزرق قبل التقائه بنهر الرهد شمالاً. وتقع على مسافة 186 كلم جنوب الخرطوم، وتبلغ المساحة الكلية لمدينة ودمدني حوالي 50 كلم مربعاً⁽¹⁾ وترتفع عن سطح البحر حوالي 405 أمتار وتنحدر الأرض من جهة الغرب نحو الشرق مما يجعل المجاري تتجه بسرعة شديدة وباتجاه النيل الأزرق مسببة عمليات نحت مما أثر في طبيعة المنطقة⁽²⁾ وتعتبر مدينة ودمدني نقطة التقاء مهمة للطرق القومية حيث تربط مدن السودان والعاصمة الخرطوم بميناء السودان الأول ببورتسودان. وفي بداية القرن العشرين من عام 1900م أقيمت محطة السكة الحديد، وتم اكتمال الخط الحديدي الخرطوم - مدني، وفي عام 1912م تم اكتمال خط ودمدني - كوستي - الأبيض. وإلى شرق السودان في عام 1928م، مما أدى إلى ارتفاع في عدد السكان وارتفاع معدلات الهجرة من مختلف أقاليم السودان.⁽³⁾

علماء الجغرافيا يؤكدون أن العوامل الجغرافية التي تشكل معالم السطح والمناخ لها تأثير كبير على حياة المواطن، وتساهم في رسم الخريطة السكانية والاقتصادية. وإن طبيعة المنطقة التي تقع فيها مدينة ودمدني على الضفة اليسرى من النيل الأزرق التي تسمى بالجزيرة، فإنها أخذت هذا الاسم مجازاً ولكن جغرافياً أو طبيعياً فإنها لا تمثل الجزيرة بالمصطلح الجغرافي⁽⁴⁾ وقد كتب عنها المؤرخ ريتشارد هيل: (أن مدينة ودمدني تقع في شبه جزيرة سنار، على مسيرة يومين بالحمير من مدينة سنار على الضفة الغربية للنيل الأزرق. والضفة عند ودمدني منخفضة ومتأكلة يتعذر رؤيتها على القادم إليها بسبب الغابات الكثيفة.⁽⁵⁾

تأريخ نشأة مدينة ودمدني:

تعتبر مدينة ودمدني من أقدم أربع مدن في السودان. فقد كانت قبل دولة السلطنة الزرقاء عبارة عن قرية صغيرة أطلق عليها اسم (نسيم)، والمباني عبارة عن رواكيب مبنية من القش وكانت تسكن في المنطقة قبيلة الكواهلة، واستهوت المنطقة بعض القبائل العربية الأخرى منها الدباسين والعوامرة والشكرية.⁽⁶⁾ وتقول بعض المصادر: يرجع تاريخ مدينة ودمدني الحديث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي. في عهد مملكة الفونج (السلطنة الزرقاء 1508-1820م)، وذلك باتفاق معظم الباحثين، إلا أن تحديد التاريخ بالسنة موضع خلاف بين المؤرخين المعاصرين للرعييل الأول الذين شهدوا بداية التأسيس؛ فمثلاً ورد في كتاب أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان: ترجع تسمية المدينة إلى مؤسسها الشيخ محمد مدني السني، واستقر فيما يسمى حالياً حي المدنيين، النواة الأولى للمدينة في تاريخ غير محدد.⁽⁷⁾ وتشير بعض الدراسات إلى بداية تأسيس المدينة على يد الشيخ محمد مدني السني في عام 1489م.⁽⁸⁾ وكذلك ورد في كتاب ودمدني الروح: يرجع تأسيس المدينة إلى العارف بالله الشيخ محمد مدني السني، وبناء خلوة للقرآن الكريم عام 988هـ قبل السلطنة الزرقاء بسبعة وعشرين عاماً.⁽⁹⁾ ويرجح د. سالم أن تاريخ نشأة المدينة بين الأعوام (1508-1820م). وقد وضح أن مكان مدينة ودمدني الحالي كان مأهولاً بالسكان، وقد يرجع إلى مملكة سوبا أو ما قبلها بكثير، وذلك لاكتشافه بعض الآثار في وسط منزل أسرته في الجزء الجنوبي لحي المدنيين (نمرة 31. مربع 12) بما يعرف بحفرة السكسك (الخرز) الملون بالأحمر والأزرق، ويؤكد أنه نفس النوع الموجود في متحف السودان، ويقول البعض إنها من عهد العنج، كما يوجد في نفس الحي مقبرة وهيكل بشرية ترجع إلى فترة بعيدة. وتقول بعض المصادر إن المغاربة أول من هاجر إلى ودمدني ونسبوها إلى الشيخ مدني السني والكلمة ليست (ود) ولكنها (واد) في لهجة أهل المغرب العربي.⁽¹⁰⁾

التطور العمراني والتقسيمات الإدارية للمدينة:

لقد كانت بداية حالة المدينة تمثل حياة سيئة، ولم يكن بها عمران سوى قرية المدنيين (حي المدنيين حالياً) التي كانت تتكون من القطاعي المبنية من القش والطين، وتحاط بأسوار من الشوك. وقد كانت الصورة

التاريخية لخريطة مدينة ودمدني الجغرافية عند بداية نشأتها عبارة عن غابات كثيفة وشجيرات متشابكة وأشواك على مساحات واسعة من المدينة تتمدد فيها مدينة ودمدني شمالاً يحدها شاطئ النيل الأزرق من غابة أم بارونة شرقاً حتى موردة الحطب بالدباغة غرباً، وجنوباً يحدها شريط السكة الحديد. وشرقاً تحدها جزيرة الفيل. وغرباً يحدها كذلك شريط الحديد الذي يشكل شبه قوس في الاتجاه من الجنوب إلى الغرب متجهاً شمالاً إلى الخرطوم وكانت هذه المساحة من الأرض تغطيها الأشجار والأعشاب الكثيفة وتسكنها الثعابين والمرافعين والنمور والحيوانات المتوحشة⁽¹¹⁾.

بدأت نشأة العمران في فترة الحكم التركي حيث شيدت المباني دون تخطيط، ولا تكاد تعثر على مبنى يسترعي الانتباه عدا ثكنات الجيش، وهي عبارة عن صرح ضخم مربع الشكل تحيط به الأحياء السكنية، ويقع على بعد أربعين خطوة من النيل على الواجهة المطلّة على النهر للثكنات، ألحق مبنى آخر أحسن شكلاً وارتفع عن بقية المباني، وهو منزل الضابط المسؤول. ويقع على بعد مائة خطوة من هذا المربع المستشفي العسكري⁽¹²⁾، الذي تتوسطه مساحة واسعة تغطيها أشجار السنط، وحول الساحة حجرات بعضها مخازن وبعضها الآخر مساكن المرضى، وحجرات أخرى للأطباء والموظفين والصيدلية بمعملها والمطبخ، ومكان لغسل الموتى والتكفين، وغرفة كبيرة بها نوافذ من جميع الجهات ليعبر منها تيار الهواء من الساحة لتبريد الماء في الأزيار على طول الغرفة وعرضها⁽¹³⁾. وعلى بعد نحو أربعمئة خطوة شمال الثكنات يطل على النهر منزل أمين بك قائد الفرقة الثامنة التي تمثل العمود الفقري للحامية، هذا المنزل كان يتكون من طابقين بجدران صلبة ويعتبر من أجمل المنازل في مدينة ودمدني في تلك الفترة، له بلكونة تطل على النيل لتكشف المنطقة الممتدة أمامها بما فيها النهر والغابات على الضفتين⁽¹⁴⁾. وفي منتصف المدينة توجد قبة الشيخ مدني السني وقد بنيت من الطوب الأحمر على خلاف سائر المنشآت والمنازل التي شيدت بالطوب الأخضر ماعدا الثكنات التي بناها إسماعيل باشا بالحجر الخشن المغطى بالطين. وبالقرب من هذه القبة يوجد مسجد يغطي أرضيته الطوب الأحمر، وقد بني في عهد خالد باشا خسرو حاكم عام السودان (1845-1850م). أما السوق فقد كان عبارة عن مجموعة من الأكواخ أخذت

مكانها على خطين متوازيين. فالمدينة عامة كانت غير منظمة وقذرة حيث تقع في منطقة منخفضة تمتلئ بالحفر التي تطفح بالمياه في فصل الخريف، وتبقى المياه حتى فترة الجفاف حيث لا يوجد نظام للمجاري، فتتغفن المياه تحت أشعة الشمس مسببة أنواعاً مهلكة من الحمى والأمراض الوبائية.⁽¹⁵⁾ وفي فترة الحكم الإنجليزي للسودان (1898 - 1956م)، أخذت المدينة شكلها الأساسي بعد دخول القوات الإنجليزية المستعمرة إلى السودان؛ حيث أعيد تنظيمها بعد تشييد أحد الأحياء؛ وهو: حي القسم الأول: يقع هذا القسم غرب السوق الكبير مباشرة، ويمتد في شكل شريط مستطيل غرباً حتى شارع الحرية، ويحده شمالاً النيل الأزرق، وجنوباً شريط السكة الحديد، وكانت من أوائل العوائل السودانية عائلة البوشي؛ ذلكم الرجل الذي أسهم بفكره وتعامله في دعم التنمية الاجتماعية بمدينة ودمدني، وقد تم على يده تشييد أول مسجد لأداء صلاة الجماعة بالحي في عام 1894م، وقد انطلقت فكرة التعليم الديني، والثقافة الإسلامية من هذا المسجد.

كان يسكن هذا القسم شريحة من التجار الأجانب؛ من الهنود والشوام والإغريق والمغاربة. ويعرف بحي التجار، وتتكون معظم مبانيه من الطوب، والأسمنت، مع قلة من المباني الطينية وتمتاز شوارعه بالتخطيط والاتساع، كما يمتاز بوجود المساجد، والحدائق، والمنتزهات العامة والأندية الرياضية. ودور السينما والأحزاب السياسية، والكنائس المسيحية، والفنادق، والمدارس (البندر)، وأهم الأحياء البصيلية والبحيرية.⁽¹⁶⁾

القسم الثاني: يقع غرب القسم الأول في شكل مستطيل ممتد من النيل الأزرق شمالاً حتى شريط السكة الحديد، ويعتبر في الزمان القديم حدود ودمدني غرباً. ويسكن في هذا القسم أحفاد وأبناء الشيخ محمد بن مدني، وخليط من أبناء القبائل السودانية المختلفة، وهو يشكل مركز الثقل السكاني آنذاك، كما يعكس التنوع المهني لمختلف الصناعات والمهن والحرف اليدوية ذات القيم الجمالية الرائعة التي ساهمت في إحداث التغيير الاجتماعي والاقتصادي. كما كان يسكن في هذا الحي فئة من المزارعين الذين امتهنوا الزراعة على ضفاف النيل، ومشروع الجزيرة.⁽¹⁷⁾

العمران في هذا القسم كان أقل جودة من القسم الأول فمعظم المنازل كانت من الطين والقليل من الطوب. أما أهم المرافق التي شيدت في هذا القسم: الجامع الكبير (جامع الحكومة)، مسجد باننت، مسجد الأحمدية، مسجد

ومسيد الشيخ شاطوط. ثم المدرسة الأميرية الوسطى، المدرسة الأهلية، المعهد العلمي في مباني الجامع الكبير، خلوة الشيخ محمد مدني السني، وغير ذلك. ويلاحظ داخل هذا القسم مسميات الأحياء والفرق المرتبطة بأسماء العوائل أو القبائل؛ التي انحدرت منها الأسر ولعل من أشهر هذه الأسماء: ودأزرق، فريق السناهير، النضيراب، أم سويقو، فريق القبة، فريق المدنيين، فريق الحلبة، ودقيحا، مربع الهوارة، مربع 11، فريق البصيلية، فريق ودعيسى إلخ⁽¹⁸⁾ أخذت ودمدني شكل المدن الاستعمارية، خصوصاً عند مكان القبة (قبة الشيخ محمد مدني السني) حيث أخذ تقاطع الشوارع شكل العلم الإنجليزي. وما زال هذا الطابع مسيطراً على هيكلها العام كما هو في أغلب مدن السودان الكبيرة. وبعد اكتمال مباني الحكام بدأ العمل في تشييد المصالح الحكومية مثل مباني المديرية 1902م.⁽¹⁹⁾ وقد تم بناء الدوائر الرسمية على امتداد شارع النيل منها البريد والمحكمة والكلوب الإنجليزي (نادي الجزيرة حالياً) والحدائق العامة؛ كعكاتي- البلدية سابقاً -حديقة سليمان وقيع الله، وميدان الملك سابقاً (ميدان الحرية حالياً). هذا إلى جانب ميادين التنس. وتحتل مساكن الإنجليز الناحية الشمالية الشرقية للمدينة حيث تسمى آنذاك الحي البريطاني الآن الحي السوداني، ويقع جنوب الدوائر الرسمية السوق الكبير، حيث يلاحظ وجود جنسيات أجنبية مثل الشوام، والأغاريق، واليهود يعملون في السوق الأفرنجي، ويشكل أولاد البلد المنطقة المتاخمة لهم حيث تعرف بالسوق العربي⁽²⁰⁾. ونجد أن حي الموظفين الذي يسكنه الموظفون حسب درجاتهم الوظيفية، فكما اتجهنا جنوباً تقل رتبة الموظف، وكذلك مستوى السكن، حتى تصل الأورطة وهي سكن أفراد البوليس، وبعدها سكن عمال الدولة، التي تحد جنوباً بمقابر الأجانب غير المسلمين، وجنوب السوق يوجد المستشفى الملكي، ومحطة السكة الحديد. وفي بداية الخمسينيات ظهرت أحياء إضافية مثل: بانث، شندي فوق، جبرونا، حي الثورة (الصقور سابقاً)، دردق، حي المزاد، وفي الستينيات ظهرت الأحياء السكنية الجديدة مثل الدرجة الأولى، والدرجة الثانية مع تطور في المباني عمرانياً، كما ظهر حي المطار (درجة أولى) على شكل طوابق، وفلل وحدائق داخلية. ولاحقاً في عام 1967م أضيفت بعض المناطق التي كانت حول المدينة مثل: المكّي، جزيرة الفيل، مارنجان عووضة، وعتر، الكريبة. وخلال فترة السبعينيات خطت أحياء مايو، أركويت. وفي عام 1984م ظهرت أحياء الزمالك.

وفي التسعينيات ظهرت أحياء المنيرة، الأندلس، كما شهدت الامتدادات الجديدة شرق النيل. وقد شهدت مدينة ودمدني ثلاث خطط إسكانية في الأعوام 1976م / 1982م / 1987م الممتدة حتى تاريخه. ويلاحظ أن هنالك سكناً عشوائياً منظم حول المدينة يتمثل في القرى التي قامت بصورة تلقائية منها حبيب الله، عووضة، مارنجان. وهناك سكن عشوائي غير منظم مثل حلة رضوان، السنيط، كمبو حليلة، كمبو هيئة البحوث الزراعية.⁽²¹⁾ وقد أدى السكن العشوائي بمدينة ودمدني لمشاكل اجتماعية وأمنية.

خريطة مدينة ودمدني



السكان والتغيرات الديموغرافية:

تعد التغيرات السكانية أهم مظاهر الحراك الاجتماعي التي عرفتھا البشرية منذ زمن بعيد، حيث كان الناس في الماضي يرحلون من مكان إلى آخر بحثًا عن الطعام والماء والأمن والإيواء في أماكن وجودها فالهجرة والارتحال والانتقال هي واحدة من سنن الحياة، وقد أورد القرآن الكريم أهم دوافع وأهداف الهجرة وهو البحث عن سعة الرزق في الأرض، والبحث عن أماكن الأمن خوفًا من ظلم الطغاة، حيث يقول الله تعالى مبيّنًا حالة قريش في رحلة الشتاء والصيف بقوله تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ) (قريش: 4). ويقول تعالى: (... قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء: 97⁽²²⁾ وعلماء الدراسات السكانية دائمًا ما يؤكدون أن الهجرة تتجه إلى حيث تكون الظروف الاقتصادية مؤاتية للكسب ورفع مستوى المعيشة.⁽²³⁾ وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية.⁽²⁴⁾ ولقد شكلت مدينة ودمدني من ناحية تاريخية شبكة علاقات اجتماعية تتكون من المجموعات الإثنية، وهذه ضرورة حتمتها الظروف التي عاشتها المدينة منذ تأسيسها، وقد ازداد نزوح القبائل العربية في فترة السلطنة الزرقاء (1504-1821م) وبمرور الزمن صار المكان أهلاً بالسكان بعد تأسيس الخلاوي وحلقات العلم على يد الشيخ مدني السني من مختلف أنحاء السودان وبعض دول الجوار الإفريقي فتوج ذلك عنصر التلاقي والتعايش الثقافي، ونجد أن المجتمع تأثر كثيرًا بغرس قيم الدولة السنارية، والتي تعتبر أول كيان سياسي إسلامي قام في السودان كنتاج لدخول الثقافة العربية الإسلامية في السودان. ومع تطور المدينة السكاني والمتغيرات المحلية ونهاية السلطنة الزرقاء (دولة سنار) ثم الغزو التركي للسودان عام 1821م، تأثرت مدينة ودمدني كغيرها من المدن الأخرى بتدفقات سكانية عالية بعد أن أصبحت العاصمة الجديدة للسودان في ذلك الوقت لموقعها المتوسط وأحاطتها بأراضٍ زراعية غنية تعرف بمنطقة الجزيرة وسكنوا في الأحياء التي تعرف بالسكة الحديد والسوق والدربية. ولقد استوعب جيش محمد علي باشا الغازي للسودان عام 1821م مجموعات من الأرمن والشراكسة والألبان والأرمنووط. ووفدت إلى ودمدني أجناس متعددة الهوية

من خارج السودان كالمصريين والأقباط والمغاربة والشوام والمجر والإيطاليين والأغاريق (اليونانيين) والهنود والنقادة واليهود وأخذوا القسم الأول سكنًا لهم.⁽²⁵⁾ ومن داخل السودان هاجرت إلى ودمدني بعض القبائل والجماعات الهاربة من ويلات الحروب، وقهر السلاطين، أثناء فترة الحكم التركي فكان أشهر تلك القبائل نزوحًا قبيلتي الشلك والعنج، وهجرات من شمال السودان بعد الحملات الانتقامية للسلطة التركية بعد حرق إسماعيل باشا. وبعد نهاية الحكم التركي للسودان سرح الأتراك الجنود الذين كانوا بالجيش التركي فقصدهم معظمهم مدينة ودمدني حيث الأمن والرخاء، واستقروا في الفراغ الذي يقع بين جزيرة الفيل وحي دردق، وتجمعوا في شكل قبائل أو جماعة وعوائل وحطوا الرحال في مكان وجعلوه سكنًا سمي ذلك المكان بالرديف ويعني الجنود المتقاعدين.⁽²⁶⁾ The Retired Troops.

أما قبل وخلال فترة الثورة المهديّة 1985م - 1898م شهدت مدينة ودمدني بصفة خاصة والجزيرة بصفة عامة أكبر التحركات السكانية وهي الهجرات ذات الصبغة المهديّة والتي اتجهت من غرب إفريقيا نحو الشرق إما لأداء فريضة الحج وانتظار ظهور المهدي المنتظر أو الاقتراب من الموقع الذي ينتظر فيه ظهور المهدي وتهيئة الطريق لمواصلته الرحلة لمبايعته عند ظهوره. وارتبطت هجرات مسلمي إفريقيا إلى السودان واستقرارهم بمفهومهم للشرق (بالهوسا Cabas) مأخوذة من القبس (الذي يصاحب شروق الشمس) باعتبارها اتجاهًا لمهبط الوحي والكعبة المشرفة، كما أنه الاتجاه الذي توجد فيه بقية الأماكن المقدسة مثل المدينة المنورة حيث قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس الشريف بدولة فلسطين، وزيادة على ذلك هناك في الشرق يوجد الموقع الذي ينتظر فيه ظهور المهدي عليه السلام.⁽²⁷⁾ ويرى الباحثان لقد كانت لهذه الهجرات أثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية بالجزيرة، وكان لحسن المعاملة التي وجدها هؤلاء المهاجرون ما أغرى البعض منهم إلى الاستقرار نهائيًا بالسودان بحثًا عن العمل ولأن السكان من أصل رعوي فقد اشتدت الحاجة بهم إلى الأيدي العاملة لنجاح مشروع الجزيرة بعد قيامه. وبعد ظهور المهدي شهدت مدينة ودمدني تدهورًا سكانيًا واقتصاديًا، حيث هاجر معظم سكانها الذين استدعتهم قيادة الثورة للدفاع عن الدولة الإسلامية، وبعد سقوط مدينة أم درمان بعد موقعة كرري ونهاية الثورة المهديّة عاد السكان مرة أخرى إلى مدينة ودمدني. بعد دخول جيوش الاحتلال

الإنجليزي (-1898 1956م) تم اختيار ودمدني عاصمة لمديرية سنار في عام 1903م، وفي أول يناير 1906م صارت عاصمة لمديرية النيل الأزرق. وقد شهدت هجرات أخرى من مصر ومن قارة أوروبا وقارة آسيا ومن غرب إفريقيا، وقد ازدادت الهجرات أكثر بعد قيام مشروع الجزيرة، ومؤسسة الحفريات والري والأشغال والبحوث الزراعية والسكة الحديد، وحاجة المشروع إلى العمالة في الغيط والمحالج فنشأت أحياء عمالية في منطقة بركات ومارنجان، وحلة حسن وحي 114. وكانت اللغة العربية تمثل لغة التفاهم المشتركة بين هذه القبائل في كل المعاملات.⁽²⁸⁾

أما في مرحلة ما بعد استقلال السودان (1956م) فقد تميزت مدينة ودمدني بنمو كبير للسكان بسبب التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والتعليمي والخدمي، وقد أدى ذلك إلى هجرات عدد كبير من أقاليم السودان ومن الريف إلى ودمدني بعد أن اتسع النشاط الاقتصادي وازداد دخل الفرد بعد نهاب المستعمر، وتضاعفت حركة النشاط العمراني والتعليمي والثقافي.

التطورات السياسية:

قبل نشأة مدينة ودمدني في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي كانت هي عبارة عن أرض ولم يكن بها أي معلم لحياة الإنسان، وقد كانت الحياة بدائية ولا يوجد أي نظام سياسي للحكم سوى الأطماع السلطوية لبني الإنسان آنذاك، تسيطر عليه مملكة علوة وعاصمتها (سوبا) جنوب الخرطوم، وقد كانت المملكة مفتوحة الأبواب للعرب والمسلمين وغيرهم من رجالات الدين المسيحي. وقد أسهمت الدولة السنارية - السلطنة الزرقاء - (1504-1821م) خلال عقود حكمها التي كانت نتاج غرس للثقافة العربية الإسلامية في إحداث نقلة نوعية على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية لأهل السودان، وقد انتقل المجتمع السوداني من سيادة المسيحية والوثنية والعادات الجاهلية النوبية إلى سيادة الإسلام وشيوع اللسان العربي وتمدن وتحضر الإنسان السوداني بمقياس ذلك الزمان.⁽²⁹⁾ وقد استمرت الأحوال في ودمدني بعد نشأتها دون أي تنظيم إداري وسياسي مفتعل حيث كانت تعتمد على النظام الأهلي حتى بدأ الزحف التركي - المصري للاستيلاء على السلطنة الزرقاء في عام 1821م، وتضافرت عوامل الضعف والتفكك وحلقات التآمر الخارجي ضد الدولة السنارية، فإن المعنى ليس انقلاباً موجهاً ضد

سلطات الدولة السنارية وإنما الهدف هو اجتثاث للقيم الاجتماعية والأفكار التي مكنتها وتمثلتها الدولة السنارية، فأخذت المدينة تتغير وتتأثر كغيرها بمتغيرات الغزو الجديد وقوامه من عناصر الأتراك والشراكسة والأرمن وغيرهم.⁽³⁰⁾ وبعد دخول الحملات التركية في عهد محمد علي باشا حاكم مصر عام 1821م اتخذ إسماعيل باشا ابن إبراهيم ابن محمد علي باشا خديوي مصر والسودان مدينة ودمدني مركزاً وحامية تركية لجنوده تمهيداً لغزو سنار عاصمة السلطنة الزرقاء التي كانت تخضع لها معظم ممالك السودان وأقاليمه الأخرى آنذاك بما فيها مدينة ودمدني.⁽³¹⁾ ويقول شقير أما إسماعيل باشا فإنه زحف بجيشه حتى وصل إلى ودمدني فقابل به رجب ودعدلان والأرباب دفع الله أحمد بالطاعة فأمنهما وأخذهما معه، ولما قرب من سنار خرج إليه ملكها الملك بادي طائعاً، ودخل إسماعيل باشا بالأبهاء العسكرية في 12 يونيو سنة 1821م فأطلق 21 مدفعاً احتفالاً بذلك. وكان ذلك قبل قتله حرقاً على يد المك نمر في شندي في ديسمبر عام 1823م. وبعد مقتل إسماعيل باشا شهدت مدينة ودمدني بعض الأحداث بعد أن انتشر الخبر فنشطت الرؤوس للثورة ضد الأتراك والمصريين وفر الأرباب دفع الله من ودمدني ونزل في قرية عبود فتجمعت عليه الجموع فشغل به محمد سعيد أفندي، وأرسل سرية من الفرسان لمطاردته فخرجوا من ودمدني ليلاً وأصبحوا في عبود فوجدوا الأرباب دفع الله فقد فر بمجموعة فقتلوا الفقيه عبدالعليم خليفة ولد عبود وخرّبوا القرية ونهبوا أموالها وعادوا إلى ودمدني. أما الأرباب دفع الله فر إلى أبي شوكة واجتمع على حسن ودرجب فأرسل إليهما محمد سعيد أفندي سرية من العساكر برئاسة مصطفى كاشف فقاتلتها قتالاً شديداً، وقتل حسن ودرجب وعمه الشيخ حسين وابنه محمد وجماعة من رجاله وغنم منهما غنائم ثمينة ورجع إلى ودمدني. ولما بلغ الدفتردار في كردفان خبر حرق إسماعيل باشا نزل إلى ودمدني بعد حرق شندي والحلفايا وجزيرة توتي والعلفون، وقد بلغه هنالك أن أهالي النيل الأبيض قد شقوا العصا فأرسل حسين أغا إليهم وقام بمحاربتهم. وقد أقام الدفتردار في قرية أم عروق جنوب ودمدني يتعقب الثوار في كل الجهات وينكل بهم حتى جاءه الأمر فنزل إلى مصر ومعه السيد أحمد السللاوي الحنفي وتتابع بعده الولاة على السودان إلى أن كانت الثورة المهدية.⁽³²⁾ وشهدت فترة الحكم التركي-المصري بزوغ أول وحدة سياسية للسودان الحديث بالرغم أن الهدف الأسمى من ضمه للدولة العثمانية

كان استعمارياً-اقتصادياً. بيد أن قيام حكومة مركزية في ذلك العهد بسطت سلطاتها على أغلب المناطق التي كانت تحت حكم المشيخات والسلطنات السودانية كان إيذاناً ببداية مرحلة جديدة من تاريخ السودان الحديث.⁽³³⁾ وقد كان أبرز حدث سياسي هو اتخاذ مدينة ودمدني عاصمة للسودان في تلك الفترة في سنة 1825 بدلاً عن سنار في عهد عثمان بك عندما تم تعيينه والياً على السودان فذهب إليه ومعه بعض الجنود المنظمين الذين عرفوا بالجهادية ونزلوا في الخرطوم فأتاه الشيخ شنبول من ودمدني فأكرمه وكساه وقلده المشيخة على جميع البلاد من حجر العسل إلى جبال النوبة. وأتاه الشيخ عبدالله عمر فقتله بقبيلة مدفع. ثم أقام عثمان أغا الخربطولي وكيلاً عنه في الخرطوم وأمره بقتل الفقيه الأرباب ودالكامل بقبيلة مدفع وتوجه هو إلى ودمدني فقتل عدة رجال بقنابل المدافع فعظم ذلك على الأهليين ونفرت قلوبهم من الحكومة وأخذوا يهاجرون من الأوطان. وكان السيد أحمد البقلي المفتي الشافعي لا يزال في ودمدني فارجه إلى مصر لعدم وجود شافعية في السودان.⁽³⁴⁾ وقد اتسمت ملامح هذه الفترة بالقسوة والإدارة العسكرية الحازمة لإخضاع المواطنين للسلطة السياسية الجديدة، وترسيخ فكرة الدولة العلمانية، وبذر روح الاستعلاء والظلم وتفشي الفساد وسط المجتمع الذي بدأ ينشأ على الفضيلة والإخاء فقد أحدث هذا الغزو تحولاً في المفاهيم الاجتماعية الإسلامية التي كانت سائدة في مدينة ودمدني آنذاك.⁽³⁴⁾ وقد أفرزت الجماعات الوافدة سلوكاً وعادات وطقوساً غير مألوفة أو مقبولة، فقد انتشر الفساد السياسي والإداري وتفشت الرشوة والمحسوبية وظلم الأهالي وانهارت الأخلاق والقيم السودانية، وقد حاولت الدولة التركية إشراك السودانيين في الإدارة فأدخلوا نظام الحكومات المحلية، ومع هذا التطور النوعي في نظام الحكم إلا أن آفة الحكم كان مصدرها المديرين المصريين والأتراك ومن عاونهم من الأهالي. ثم انتقل عثمان بك إلى الخرطوم ونقل إليها أقالم الحكومة ومستودع الفرسان والمخازن والأشوان وجعلها مركزاً للولاة وعاصمة للسودان، وانتهت أهمية ودمدني كقاعدة عسكرية لجيوش الأتراك. وقد كان لا بد من ضوابط دينية وسياسية وقانونية تحكم هذه المتغيرات وتحفظ المجتمع وقوامه وخصائصه فكان نتيجة ذلك قيام الثورة المهدية، وأخيراً فشلت الدولة التركية في حكم البلاد بسبب طبيعتها الاستغلالية وقهرها للشعب السوداني.⁽³⁶⁾

خلال فترة الدولة المهدية (1898-1985م) لم يكن لمدينة ودمدني دور سياسي كبير بالمعنى المفهوم وذلك نسبة لتمرکز السلطة في مدينة أم درمان، وقد كان اهتمام خليفة المهدي بالشؤون السياسية الخارجية، ومجابهة الدول الاستعمارية، وقد كان أول دور سياسي لمدينة ودمدني أن اختارت المهدية ودالصوفي والياً على المنطقة التي تقع بين الرملة غرب الخرطوم حتى سنار، واتخذ ودمدني عاصمة لولايته (سالم: 1996: 18). وقد اهتمت الدولة المهدية بتأمين الغذاء من الجزيرة حيث تم تشييد مجمع للغلال جنوب قبة الشيخ محمد مدني السني وأصبح بها أهم سوق للغلال إضافة إلى أسواقها الأخرى.⁽³⁷⁾

تعتبر فترة الحكم الإنجليزي للسودان (1898-1955م) من أهم فترات التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني .. حيث كانت ودمدني محل أنظار الإنجليز لموقعها الجغرافي وسط السودان كملتقى للطرق البرية والبحرية، ولهذا الموقع أهمية اقتصادية واجتماعية وأمنية، فقد اتخذ الإنجليز أن تكون ودمدني عاصمة ثانية بعد الخرطوم بعد أن كانت مرشحة لأن تكون العاصمة الأم. وقد جعلت مدينة الكاملين عاصمة لمديرية النيل الجزيرة في يوم 8 مارس 1903م، وكانت ودمدني مركزاً تابعاً لمديرية سنار، وكانت العاصمة مدينة سنجة. تم نقل مركز الإدارة العمومية من مدينة سنار لمدينة ودمدني في 20 إبريل عام 1903م حيث صارت عاصمة لمديرية سنار، وفي أول يناير 1906م صارت ودمدني عاصمة لمديرية النيل الأزرق وأضيفت لها مديرية الجزيرة.⁽³⁸⁾

في هذه الفترة بدأت المدينة تزداد من ناحية السكان ازدحاماً بالوافدين فنتج عن ذلك انتعاش لحركة التجارة والزراعة والصناعات المحلية، وتم إرساء نظام الحكم والإدارة حيث كان الحكم برئاسة مدير المديرية ونائبه ثم مفتش المركز وثلاثتهم من الإنجليز، أما المأمور ونائبه فكانا من المصريين يعاونهما العمد والمشايع المشهود لهم بالذكاء والحكمة، ويلاحظ عدم إعطاء السودانيين المثقفين أي فرصة لتولي مناصب قيادية في إدارة الحكم إلا في أواخر أيام الحكم الثنائي حيث كانت أعلى وظيفة هي وظيفة مأمور.⁽³⁹⁾

وقد شهدت مدينة ودمدني في ذلك القرن الأحداث السياسية الضخمة التي وقعت حوله، فهناك استعمار وثورات وطنية ومؤتمرات وجمعيات وحركات ثورية في السودان وحرب عسكرية وحرب باردة في جميع أنحاء العالم، كانت هنالك إرهابات الحرب العالمية الثانية (1939-1945م). وكانت السنوات

الأخيرة من تاريخ الاحتلال الثنائي (الإنجليزي المصري) للسودان، وفترة التحول السياسي وتكوين الأحزاب السودانية وهي نقطة تحول مهم في تاريخ السودان المعاصر. فقد شهد مؤتمر الخريجين الذي تم تكوينه بمدينة ودمدني عام 1937م وثبة كبرى في أنشطته نقلته من دائرة العمل في مجال التعليم والإصلاح الاجتماعي وتشبيد المدارس ودعم خلاوي القرآن ورعاية النشاط الأدبي والثقافي (المهرجانات الأدبية) إلى ساحة العمل السياسي، وتقديم مذكرته الشهيرة بتاريخ 3 إبريل سنة 1942م إلى «صاحب معالي حاكم عام السودان»⁽⁴⁰⁾. وكانت أهم فقرات المذكرة المطالبة بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير المصير بعد نهاية الحرب العالمية مباشرة... جاء فيها «إن السودانيين قد تمكنوا من إدراك حقوقهم كشعب يجب أن يكون له كيان خاص، وأنهم بناء على هذا الإدراك يطلبون تعديل بعض الإجراءات التي كانت قائمة آنئذٍ، كما طالبوا بإصدار تصريح مشترك يمنح السودان بحدوده المعلومة حق تقرير المصير»⁽⁴¹⁾. وعلى الرغم من أن الإدارة البريطانية في السودان رفضت المذكرة وردتها ردًا غير كريم بدعوى تجاوز المؤتمر دائرة اختصاصه. فقد ظلت المذكرة معلماً مهماً في تاريخ الحركة الوطنية، وخطوة أولى في طريق المجاهدة والمصابرة التي انتهت بتحقيق استقلال السودان السياسي. وأخذت وقتها الحركة الوطنية تتجه نحو الاستقلال، وكانت تعقد المساجلات والندوات والمناقشات في الأندية والجمعيات الأدبية⁽⁴²⁾. وقد شهدت مدينة ودمدني تكوين الأحزاب السياسية وانتشار الحركة الشيوعية وتضاعفها، وكانت الشيوعية تبث تعاليمها بين طلاب المدارس ونقابات العمال وتنشئ خلاياها لدراسة الفكر الماركسي وتبني دعائم تنظيمها السياسي من منطلق الفلسفة «الماركسية اللينينية في مدينة ودمدني بالإضافة إلى مدن الخرطوم وعطبرة. كما شهد السودان بدايات انبعاث الحركة الإسلامية في السودان وجيل الإخوان المسلمين الأول وبداية حركته السرية والعلنية في تكوين التنظيم بقيادة الداعية الأستاذ بابكر كرار، وكيف أن الإخوان المسلمين أسهموا في تبليغ رسالتهم والسودان في قبضة العلمانية وخلايا الفكر الشيوعي، وشهد عملية تطور الحركة الإسلامية من العمل الدعوي والتنظيمي إلى اكتمال بنائها الإداري في مجال العمل السياسي، والعمل الوطني، وتبني مسألة الدستور. وتأسيس منهج الحركة التربوي ونشاطها الفكري والثقافي والاجتماعي، وهو المنهج الذي يفصح عن فلسفة الحركة ورؤيتها لبناء المجتمع الإسلامي وإعداد جيل يتطلع بجد وإخلاص لقيام وترسيخ الدعوة الإسلامية وقيام دولة الإسلام

والشريعة. وقد شاركت مدينة ودمدني في العديد من الأحداث السياسية وكيف كان تأثيرها على نظام الحكم في السودان، بالإضافة إلى استقلال السودان فقد كانت شاهداً على الأسباب التي أدت إلى انقلاب ثورة 17 نوفمبر 1958م بقيادة الفريق إبراهيم عبود، ثم الانقلاب عليها بقيام ثورة جماهيرية في 21 أكتوبر عام 1964، ثم قيام الديمقراطية الثانية، والأسباب السياسية التي أدت إلى انهيارها بعد مجيء انقلاب ثورة مايو بقيادة حركة الضباط الأحرار، وعلى رأسها كوادر الحزب الشيوعي السوداني، وكذلك شهدت مجاهدات الحركة الإسلامية ضد حكومة مايو اليسارية والانقلاب عليهم بواسطة الرئيس جعفر محمد نميري ومحاكمتهم وإعدامهم بعد قيامهم بانقلاب عسكري ضد الحكومة. وكيف استفادت الحركة الإسلامية من انقلاب هاشم العطا وتحول ثورة مايو من اليسار إلى اليمين واستمر ذلك حتى قيام المصالحة الوطنية في عام 1978م، وترسيخ مؤسسات العمل الإسلامي وتحول الاقتصاد إلى الاقتصاد الإسلامي. ثم جاء انقلاب الرئيس «نميري» على الإسلاميين وإيداعهم السجون مما أدى إلى قيام انتفاضة إبريل/ رجب سنة 1985م والإطاحة بحكومة مايو، وقيام الديمقراطية الثالثة ومشاكلها وانهيارها بعد قيام الحكم الإسلامي وقيام الدولة الإسلامية بمساندة كوادر الجبهة الإسلامية (ثورة الإنقاذ الوطني) بقيادة العميد عمر حسن أحمد البشير. وفي ظل هذه المعطيات السياسية شهدت مدينة ودمدني العديد من الحكومات المحلية، وقد ظلت مدينة ودمدني عاصمة مديرية النيل الأزرق، ثم عاصمة لإقليم الأوسط، ثم عاصمة لولاية الجزيرة، وفي عهد نظام مايو تم تكوين مجلس تشريعي يتم انتخابه عن طريق التصويت المباشر، ومن مهامه الرقابة على السلطة التنفيذية، وإصدار القوانين المحلية. وفي عهد ثورة الإنقاذ الوطني اتخذت مدينة ودمدني عاصمة لولاية الجزيرة ومقرًا للحكومة، وكون بها عدد من المحليات والمجالس التشريعية بالانتخاب المباشر.

التطور الاقتصادي:

عند بداية نشأة مدينة ودمدني لم يكن يوجد أي نشاط اقتصادي، إذ لم تكن الزراعة أو الصناعة معروفة لدى السكان الأوائل لمدينة ودمدني، وقد كان اعتماد السكان على سبل كسب العيش البدائية وهي التقاط الثمار وجمعها وأكلها مثل النبق والللوب، وربما أثرت طبيعة النشاط التعليمي الصوفي على الزهد والاكتفاء بالموجود وما تهبه الأرض من زرع وقد شهدت المدينة نشاطاً

تجاريًا في عهد دولة السلطنة الزرقاء، فقد كانت تمر عبرها قوافل كردفان التجارية الذاهبة إلى سواكن بطريق القصارف النيل الأزرق بعد مرورها بقرية (ود شلعي) على النيل الأبيض وقرية (عبود) بالجزيرة، وبعد قيام الخرطوم ورثت ودمدني المركز التجاري الذي كانت تحتله سنار في حوض النيل الأزرق. وقد كانت عامرة بأسواقها كقرية كبرى لفتت انتباه الرحالة الأوربيين واستقر بها عدد من جنود الفونج وأسسوا بها عددًا من المقاهي والمطاعم.⁽⁴³⁾ وكان نظام التجارة والأسواق في عهد السلطنة الزرقاء لكل مشيخة سوقًا تجاريًا عامًا يفتح في يوم معين من أيام الأسبوع فيتجمع إليه التجار لبيع ما لديهم من السلع والحبوب والمواشي، وقد تميزت هذه الأسواق بوجود الأصناف المختلفة من لحوم البقر والإبل والأغنام، كما يوجد اللبن ومشتقاته إلى جانب البقول والخضروات والفواكه والتوابل إضافة إلى الروائح العطرية والعطرون والحنة.⁽⁴⁴⁾ كما كانت تأتيه منتجات المشيخات من سن الفيل والذهب والمنسوجات.⁽⁴⁵⁾ لم تكن للسلطنة عملة خاصة.⁽⁴⁶⁾ فكان تبادل المنتجات المحلية بين الأهالي يتم عن طريق المقايضة في القرى والمدن الصغرى⁽⁴⁷⁾ وذلك عن طريق مبادلة سلعة بسبعة أخرى⁽⁴⁸⁾ هذا إلى جانب بعض العملات المحلية التي يصنعها الحدادون وتعرف باسم مثل أبو منجل والحشاش.⁽⁴⁹⁾ كما كانت تستخدم العملات الأجنبية المجلوبة من الخارج بواسطة التجار الأجانب وهي لا تواجه أي صعوبة في التعامل والتداول ولهذا كان لها قيمتها وسط التجار الأثرياء.⁽⁵⁰⁾ وأهم النقود الرائجة التي كانت متداولة في مدينة ودمدني ومدن السودان الأخرى في فترة في السلطنة الزرقاء هي ريال أبو طيرة.⁽⁵¹⁾ كما استعمل في بربر وشندي الدولار الأسباني.⁽⁵²⁾ لم تكن المكوس باهظة فقد كانت أول ضريبة فرضتها سلطنة الفونج على القبائل هي تورات* العسكر وهي عبارة عن عمار* لبن وفطير ويكون مناصفة بين الأهالي.⁽⁵³⁾ وقد أطلق الفونج كلمة الخراج على كل ما يدفع للحاكم.⁽⁵⁴⁾ وتفرض ضريبة الخراج على أرض الدولة أو الأرض التي جرى تملكها ولم ينص على إسقاط خراجها.⁽⁵⁵⁾ وفي عهد الحكم التركي كانت السوق في مدينة ودمدني عبارة عن أكواخ صغيرة، تحتوي على بعض الأقمشة ذات الألوان الباهتة (الشيت) كما تسمى، والأحذية والخرز والسكر والبن والبهارات، وقد كان أفضل «دكان» هو ذلك المقهى الذي يحتل ركنًا من مربوع عند نهاية الأكواخ. في هذا المربوع تباع الذرة والذرة الشامية والقمح وغيرها مما يجلب السكان من المناطق المجاورة.⁽⁵⁶⁾ وقد شهدت مدينة

ودمدني خلال فترة الاحتلال التركي المصري للسودان تطوراً في النشاط الزراعي نتيجة لوجود مجندي الجيش التركي الذين اتخذوا من الأراضى الواقعة بين حي جزيرة الفيل وحي دريق مقرّاً لهم وانتعشت زراعة الذرة الرفيعة والذرة الشامى والبطيخ والبامية والملوخية والعجور والطماطم. وقد عمل بعض الشوام والإغريق والهنود بعد استقرارهم بحى القسم الأول بودمدني العمل في النشاط التجاري وبدأوا يعملون في تجارة الأقمشة والسكر والشاي والخزف وغير ذلك من السلع المستوردة من الخارج، كما عمل بعض الأهالي في تجارة المحاصيل المختلفة عن طريق البحر كالسمسم والدخن والذرة.⁽⁵⁷⁾

أما في فترة المهديّة 1885-1898م فقد كانت الجزيرة إقليماً له أهميته بوصفه مصدراً لمد الجيوش بالغذاء والتموين. فقد شهدت تلك الفترة فترة ركود اقتصادي في السودان عامة، لأنها كانت فترة تأسيس للحكم بعد ثورة غيرت من نظام الحكم الأجنبي المستعمر للبلاد (التركي - المصري)، وأيضاً فإن الهجرة إلى أم درمان عاصمة الدولة المهديّة بطلب من الإمام المهدي كان لها أثر كبير، وبالتالي كسدت الأحوال الاقتصادية ولم تذق مدينة ودمدني انتعاشاً اقتصادياً في تلك الفترة. ونسبة لصعوبة إمكانيّة الحياة والعيش في أم درمان سمح الخليفة عبدالله التعايشي لسكان الجزيرة بالعودة إلى ديارهم في عام 1888م وهي ماتعرف بسنة المجاعة المعروفة في السودان بـ (سنة 6)، وبعد سقوط مدينة أم درمان بعد موقعة كرري وبنهاية الثورة المهديّة عاد بقية السكان الذين تخلّفوا بمدينة أم درمان.⁽⁵⁸⁾ وفي فترة الحكم الثنائي الإنجليزي المصري (1898-1955م) شهدت مدينة ودمدني انتعاشاً اقتصادياً عم كافة القطاعات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات نتيجة للازدحام السكاني والهجرات التي توافدت إلى المدينة من مختلف القبائل من داخل السودان ومن مختلف الأجناس من خارج السودان من تجار وحرفيين وموظفين. وقد شهدت مدينة ودمدني منذ العهد التركي وحتى فترة الحكم الإنجليزي للسودان العديد من هجرات التجار اليهود للسودان، وهم الذين كانوا يعملون في الاستيراد والتصدير، وقد كان من أبرزهم يوسف داود وهو من مواليد مصر عام 1902م وقد تنجس بالجنسية السودانية بوثيقة رقم 1142 بتاريخ 12 يونيو 1959م، عمل في مجال التجارة بسوق ودمدني، وهو ابن خال هنري داود العيني الذي كان يعمل مع صالح باروخ بودمدني. وجهته التي هاجر إليها غير معلومة الجهة. وأيضاً السيدة فكتورين يعقوب ملكة

من مواليد مدينة ودمدني في يوم 28 نوفمبر 1948م، تجنست بالوثيقة رقم 845 بتاريخ 30 إبريل 1950م وهي متزوجة، هاجرت إلى أمريكا. وأيضاً يعقوب يوسف عبودي من مواليد مدينة ودمدني 1917 وقد منح الجنسية السودانية بالميلاد تحت الرقم 191 بتاريخ 30 أكتوبر 1949م، عمل في تجارة الخردوات، هاجر إلى أمريكا في إبريل عام 1967م قبل حرب النكسة 1967 بشهور!. ومن أشقائه موسى، وموريس وجوزيف وإبراهيم، د. شلومو، وجميعهم استقروا في الولايات المتحدة الأمريكية؛ ومن الذين أيضاً لهم دور في التجارة بدمدني البرت سامويل أشكازي من مواليد مدينة ودمدني عام 1932م تم منحه الجنسية السودانية بالوثيقة رقم 1734 بتاريخ 29 نوفمبر 1953. هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1964م. ومن التجار أيضاً إلياس البنو (يطلق عليه أهل ودمدني إلياس البني) هاجر إلى دولة نيجيريا بعد حرب النكسة يونيو عام 1967م وقد تعرضت أعمال شقيقه إدوارد للمصادرة. وقد أدى هذا التمازج العرقي إلى بروز تباين ثقافي وسط هذه المجموعات فاستفاد مجتمع ودمدني من هذا التباين في دفع الحركة الاقتصادية، إذ كثر الطلب على الإنتاج والسلع والخدمات، وكان لكل قبيلة أو جالية أجنبية مستلزمات تود الحصول عليها، فعمرت الأسواق بمختلف الأصناف وتطورت وسائل الزراعة فتأثر الإنتاج إيجاباً كمّاً ونوعاً.⁽⁵⁹⁾ ومن أهم الفترات التي برزت فيها أهمية ودمدني بوصفها مدينة تجارية كانت بعد قيام مشروع الجزيرة في عام 1924م الذي أنشئ لاستغلال موارد السودان الطبيعية والزراعية وكان من أهم طموحاتهم العمل على زراعة القطن طويل التيلة، وقد أصبح القطن الذي يزرع في الجزيرة الغرض منه التصدير إلى الخارج لجلب العملة الصعبة، وقد كان الإنجليز قبل سودنة مشروع الجزيرة يعتمدون عليه في الارتقاء بصناعة النسيج في لانكشير ببريطانيا، ولا يستهلك من محصوله محلياً إلا قدر ضئيل للغاية لعدم اهتمام الحكومات السودانية المتعاقبة بتطوير صناعة النسيج في السودان.⁽⁶⁰⁾ وقد كان لا بد من الضروري بناء خط حديدي لربط مناطق الإنتاج بميناء السودان الوحيد آنذاك سواكن، وفي عام 1912م تم ربط مدينة ودمدني ببقية مدن السودان المهمة، حيث كان ذلك الحدث مؤشراً لمرحلة اقتصادية وتغيراً اجتماعياً كبيراً بالمدينة، وقد كانت تستقبل يومياً عشرات القبائل والقوافل المحملة بحاصدات السودان، ودخلت المدينة أعداد كبيرة من العاملين والحرفيين الذين أثروا الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبذلك أصبحت مدينة ودمدني وقتها

أهم دعائم اقتصاد السودان. وقد كان النشاط الصناعي آنذاك بدائيًا للغاية وهو عبارة عن الآلات الزراعية التقليدية من الحديد والخشب مثل (الملود) وهي عبارة عن آلة لتنظيف الحشائش الأرضية، وأيضًا اشتهرت صناعة الكوريق والطورية والسلوكة (آلة للزراعة) والواسوق (آلة لتسوية الأرض) وغير ذلك من الصناعات البدائية مثل صناعة العناقير والأحذية البلدية (المركوب) وصناعة الأسلحة البيضاء مثل السيوف والحرايب والسكاكين والبنادق الخفيفة، وقد تخصصت بعض العائلات في هذه المهن وانحصرت في أغلب سكان حي القسم الأول.⁽⁶¹⁾ أما بقية السكان فهم في الأغلب مزارعون، مارسوا الزراعة سواء في مشروعات الجزيرة، أو الزراعة المطرية، أو زراعة الجروف، وعمل البعض جزارين وخضرية وفي تجارة القطاعي وصيد السمك.⁽⁶²⁾ وقد كان النشاط التجاري ينصب حول المنتجات الزراعية والبضائع المستوردة والمحلية التي كانت تزدهر بها الأسواق المشهورة مثل (سوق أم سويقو)، و(سوق الأشراف) جوار خور ودقيحة. أما العملة المتداولة آنذاك فقد كانت من فئة الريال أبوعشرين قرشًا حيث يساوي القرش الواحد عشرة مليمات وهي عملة نمساوية كانت متداولة في مصر والسودان والحبشة، كما كانت هنالك العملة المصرية فئة (الشن) الذي يساوي خمسة قروش⁽⁶³⁾ وقد جلب مشروع الجزيرة الغنى للسودان بعد قيامه، كما ضرب في نفس الوقت مثلاً باهراً لما يمكن أن يتحقق في دولة إفريقية، إذ ما تضاربت عوامل التجارب المتأنية، مع البحث العلمي والكفاية الإدارية الحكومية، والتجارية، والشراكة التعاونية بين الدول والمؤسسات التجارية. وقبل الحرب العالمية الأولى كانت ثروات السودان ضئيلة للغاية.⁽⁶⁴⁾ وبصرف النظر عن التطور الاقتصادي والاجتماعي العام للبلاد فإن مشروع الجزيرة تسبب في تغيير حياة وتوجه سكان المنطقة بشكل جذري ففي خلال عقدين فقط من الزمان تم تطوير مجموعة من البشر الفقراء والمتخلفين، والذين يعيشون حياة غير مستقرة في جزء من البلاد بأقطار غير مضمونة لا تتعدى بوصات في العام، إلى مجتمع غني واقتصاد متوازن يعيش فيه مزارعون متعلمون ويمارسون المسؤولية الاجتماعية. قام الدكتور محمد أفضال مدير الأبحاث للجنة القطن المركزية الباكستانية بجولة في مشروع الجزيرة وهيئة البحوث الزراعية بومدني وكتب: «إن الجزيرة تمثل أعظم تجربة رائعة لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في هذا القرن، وأن نجاحها لعظيم بدرجة تؤهلها لدخول التاريخ كأسطورة رومانسية في الإنجاز الإبداعي». ⁽⁶⁵⁾ وبعد الحرب

العالمية الثانية وما بعد الاستقلال ظلت مدينة ودمدني من أكثر المدن جذبًا للسكان حيث لعب القطاع الصناعي دورًا مهمًا في التنمية الاقتصادية المهمة التي أدت إلى إحداث التنمية البشرية وزيادة دخل الفرد بتوفير فرص العمل وتحقيق القيمة المضافة للمنتجات الزراعية والحيوانية خاصة بعد قيام المنطقة الصناعية مع ازدياد النشاط التجاري للمدينة وظهور مناطق سكنية جديدة وتوسعت حركة الأداء الحكومي نسبة للتطور الإنمائي والاجتماعي. أقيمت بعض المؤسسات الاقتصادية، وأقيمت فروع لبعض الشركات الضخمة مثل جرتلي هانكي، سودان ماكتاير، وكاتربيلر، وشركات الجرارات الخفيفة والثقيلة، وأقيمت مصانع للنسيج، والمشروبات الغازية والحلويات، ومطاحن الدقيق، وصناعة الزيوت والجلود، والإنتاج الحيواني. وقد أدى هذا التطور الاقتصادي إلى التغير في نمط الإنتاج فتحول سكان ودمدني من النمط التقليدي البدائي مثل الزراعة والأعمال الشاقة إلى الاعتماد على الآلة والتكنولوجيا.⁽⁶⁶⁾ (اقتصاديات ولاية الجزيرة: 2005.199)

التطور الاجتماعي والثقافي:

لما انتشر الإسلام في القرن التاسع الميلادي شهد السودان ثقافة جديدة في الشمال تلك هي الثقافة الإسلامية. وكانت البداية في شكل مجموعات صغيرة من التجار والرعاة البدو، ومنذ القرن السابع الميلادي أخذت مجموعات كبيرة من القبائل العربية تهاجر من الجزيرة للسودان.⁽⁶⁷⁾ وكان من جراء انتشار الإسلام واستقرار القبائل العربية قيام ممالك إسلامية في السودان، ولذلك كان على الآباء أن يهيئوا كل الفرص والسبل لأبنائهم لحفظ القرآن الكريم، كما كان هناك حافز آخر للعرب المهاجرين، إذ كانوا يهدفون من وراء ذلك لأن يحققوا لأنفسهم ولأبنائهم وأحفادهم السيطرة الثقافية، ومن ثمة السيطرة السياسية على أهالي البلاد الأصليين.⁽⁶⁸⁾

شكل المسجد الركيزة الأساسية لبداية التعليم بمدينة ودمدني، حيث تقام الصلوات وتقام فيه الدروس التي تُعنى بتحفيظ القرآن الكريم ونشر فقه العبادات والمعاملات وتدريس الحديث النبوي الشريف. وقد تم تشييد أول مسجد بدمدني من القش والأخشاب بالقرب من خلوة القرآن التي أسسها الشيخ محمد بن مدني السني التي كانت لها قوة عظيمة في محاربة الرذيلة والعمل على خلق مجتمع روحي فاضل⁽⁶⁹⁾ تم إنشاء المسجد الكبير بديلاً

للمسجد الأول في عام 1898م، ومسجد البوشي في عام 1893م. ولما ازداد عدد المتعلمين على مر الزمن، وعظم الإقبال على التعليم تحول مسجد البوشي نواة لمعهد ومدني العلمي الذي أسس في عام 1927م، وقد قام هذا المعهد بتدريس العلوم الشرعية، وبعض علوم اللغة العربية مثل النحو والصرف، وقد كان لهذا المعهد دور عظيم في التغيير حيث كان منارة في الإشعاع الديني والعلمي. وقد كانت سنوات الدراسة بالمعهد ثماني سنوات تمثل في مجموعها مرحلتين الدراسة المتوسطة والثانوية، يلتحق الطالب بعد إكمالها بنجاح بمعهد أم درمان العلمي لينال الشهادة العالمية في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. وفي عام 1959م تم فصل الصفوف الأربعة الأخيرة وهي تمثل المرحلة الثانوية إلى جامع بانث، وأدخلت مقررات العلوم الحديثة مثل اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم الاجتماعية ضمن مقررات المرحلة المتوسطة بينما حافظت المرحلة الثانوية على مقررات العلوم الشرعية ريثما تتم تغذية المرحلة الثانوية بالطلاب الناجحين من المرحلة المتوسطة. وفي نقلة عمرانية نوعية أنتقلت الدراسة من مسجد بانث عام 1960م إلى المباني الجديدة جوار منازل 114. وقد أدى المسجد والمشايخ دوراً كبيراً في نشر الثقافة الإسلامية والترابط الاجتماعي بين السكان بالرغم من اختلافهم العرقي.⁽⁷⁰⁾ وفي عام 1970م تم اتخاذ قرار غير موفق بعد سيطرة الحزب الشيوعي على نظام مايو بتصفية نظام الدراسة بالمعاهد العلمية (العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية) وتم إلحاقها كمدارس بوزارة التربية والتعليم وأصبح المعهد العلمي العريق يسمى مدرسة السني الثانوية. وهكذا تم التخلص من أحد منابع التعليم القرآني الديني الذي كان يحمل مشاغل هذه العلوم.

بداية التعليم النظامي:

شهد السودان التعليم النظامي الحديث لأول مرة إبان الحكم الثنائي في عام 1898م حيث قامت بعض جمعيات بعض التبشير المسيحي بفتح مدارس نظامية على النهج الغربي في بعض المدن الكبرى في السودان الشمالي، وفي قليل من المدن في الجنوب.⁽⁷¹⁾ وقد سعى الإنجليز للاستلاب الفكري وكان منهجهم خروج السودانيين من تعليمهم وقيمهم الدينية، وقد سلب المستعمر في بداية دخوله ثقافة وحضارة ومدني التي قامت على هدى الثقافة الإسلامية، ونهج بنوها وساكنوها طريق المعرفة القرآنية والمدرسة الربانية.⁽⁷²⁾ وقد بدأ البريطانيون

في مدينة ودمدني يشجعون التعليم النظامي بغرض توفير الأعداد اللازمة من الموظفين الذين يمكن الاعتماد عليهم في إدارة مكاتب الحكومة. وفي عام 1903م أنشئت أول مدرسة أولية (مدرسة كتاب النهر الأولية) على النظام التعليمي المصري، وكان المعلمون من الجنسية المصرية، ثم تبعتها مدرسة البندر الأولية عام 1906م على نفس الأسس التعليمية، ثم أنشئت مدرسة مدني الأميرية الحكومية في نفس العام 1906م، وتعتبر هذه المدرسة أعلى درجة من الكتاب وتأخذ تلاميذها من مدارس الكتاب (الأولية) وكانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات، وتماثل هذه المدرسة ما يعرف في مصر بالمدرسة الابتدائية، وقد أنشئت مدرسة السكة الحديد التي كانت تستعمل عربات السكة الحديد فصولاً لها. وفي فترة الأربعينيات من القرن الماضي حضرت بعثة للتعليم المصري للسودان وضمت إليها مدرسة الاتحاد القبطية وأصبح اسمها المدرسة المصرية ثم عدل الاسم ليكون المدرسة العربية، وتطورت لتضم قسمًا للمرحلة الثانوية مع استمرار الدراسة المختلفة.⁽⁷³⁾

شهدت مدينة ودمدني منذ مطلع القرن العشرين تغيرات اقتصادية عميقة نتيجة قيام مشروع الجزيرة 1925م، مما ساهم في إحداث تغيرات اجتماعية شاملة في مجال التعليم والانبعاث الثقافي الغربي. وتوالى تأسيس المدارس، ففي عام 1956م بعد خروج المستعمر تم تأسيس مدرسة ودمدني الثانوية للبنين حيث استوعبت هذه المدارس عددًا من أبناء ودمدني مما أحدث ذلك تحولاً في مجال التعليم بعد أن تأهل عدد من الطلاب لجامعة الخرطوم.⁽⁷⁴⁾ وفي تلك السنة ظهرت لدى المسؤولين فكرة نظام التعليم الشعبي المعان. وكان الغرض منه تشجيع المواطنين للإسهام في تطوير التعليم بمختلف مراحله، وتقوم الدولة ممثلة في وزارة التربية والتعليم بدعم تلك الجهود بالكتب والأثاث المدرسية أو المعلمين أحياناً وبالإعانات المادية أو العينية، مثل: الأراضي. وتحت هذا المفهوم قامت مدارس أبو زيد أحمد، ومدارس الجيلي صلاح، ومدارس يونس للبنين ومدرسة شدة المتوسطة، ومدارس فريني المتوسطة والثانوية للبنين، وقد أسهمت هذه المدارس في دعم العملية التربوية والتعليمية في مدينة ودمدني مما كان له الأثر الواضح في دعم الوعي والتماسك الاجتماعي لسكان المدينة والوافدين إليها، وتنمية القدرات والمهارات وكان ذلك يشكل رافداً في مجالات التنمية البشرية. ومن السمات البارزة في تاريخ التعليم في ودمدني نشأة الدور الوطني الذي قام به التعليم الأهلي في تعليم البنات، فإن

أول مدرسة كتاب للبنات كانت هي مدرسة الحضري التي قام بإنشائها عام 1938م الشيخ أحمد الحضري. أما أول مدرسة ابتدائية (متوسطة) فقد كانت المدرسة الإرسالية الابتدائية الإنجليزية للبنات وكانت تتبع للكنيسة الإنجليزية (البروتستانت)، وعندما أنشئت المدرسة الغربية للبنات في عام 1953م سحب المواطنون المسلمون بناتهم من هذه المدرسة الإرسالية. وفي عام 1960م تم تأسيس مدرسة مدني الثانوية للبنات. ومدارس الليثي للبنات، ومدارس أبوبكر المتوسطة والثانوية للبنات، ومدارس عبدالستار الثانوية للبنات. وقد أسهمت أيضًا بيوت الخياطة وهي مراكز للتعليم النسوي لتعليم البنات خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي (العشرين)، وكانت بعض النساء والمرشدات من الإنجليز والسودانيات يعلمن النساء الخياطة وغزل القطن والتطريز وفن الطبخ.⁽⁷⁵⁾ أما في مجال التخصص في التعليم الديني للنساء؛ فقد تصدى الشيخ محمد عبدالرحمن شاطوط لتعليم البنات وقام بتأسيس معهد علمي بحري وأزرع على نفقته الخاصة عام 1976م واقتصر نشاط المعهد على الوعظ والإرشاد والفقه والتدريب المنزلي والأشغال اليدوية ومحو الأمية. وقد ظل هذا المعهد يقدم دورًا تنمويًا إيجابيًا في إرشاد العنصر النسائي والبناء الأسري. وفي مجال التعليم المهني قامت مدرسة ودمدني الصناعية في بداية الخمسينيات من القرن العشرين وهي مدرسة أكاديمية صناعية يقبل لها التلاميذ الذين يجلسون لامتحان دخول المدارس المتوسطة ممن لهم الرغبة في تعليم مختلف أنواع الحرف. يتلقى التلاميذ في هذه المدرسة إلى جانب مواد المتوسطة مبادئ الحدادة والرسم الهندسي. وفي عام 1969م صدر قرار من وزارة التربية والتعليم بتحويل هذه المدرسة إلى مدرسة متوسطة كاملة. وأنشئ بدلاً عنها معهد الحرفيين الذي تم التركيز فيه على الحرف المذكورة آنفًا. وفي عام 1970م تم إنشاء معهد التدريب المهني، وهو معهد يعني بالتدريب على مهن النجارة والحدادة والبناء والكهرباء وميكانيكا السيارات ومهن أخرى. ويعتبر هذا المعهد الذي تم إنشاؤه بالتعاون مع اليونسكو وحكومة السودان أكثر تقدمًا من معهد الحرفيين. وفي فترة السبعينيات تم إنشاء أول جامعة بومدني وهي جامعة الجزيرة، وفي التسعينيات تم إنشاء كلية ودمدني الأهلية، وكلية أبوبكر عثمان الجامعية، وكلية ودمدني التقنية، وجامعة السودان المفتوحة وجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم بالإضافة إلى بعض المعاهد المتخصصة والمدارس الخاصة والتأهيلية، وقبل ذلك ألحق عدد كبير من أبناء ودمدني بالجامعات السودانية المختلفة وخارج السودان.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة التطورات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني، وقد تعرضت الدراسة لنشأة المدينة والتطورات والتحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالإضافة إلى التطورات العمرانية التي مرت بها المدينة منذ حقبة بعيدة تمتد إلى تاريخ نشأتها. ومن خلال الدراسة نخلص إلى أن المدينة توسعت وتطورت بصورة كبيرة عما كانت عليه منذ نشأتها.

النتائج:

- ومن أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة الآتي:
- أن مدينة ودمدني لها تاريخ حافل وتعتبر من أهم المدن السودانية.
 - شهدت المدينة طوال تاريخها الطويل العديد من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة، مما يدل على أهمية هذه المدينة.
 - أسهمت ود مدني بشكل كبير في التطورات التي شهدها السودان من خلال ما شهدته من تطورات على كافة الأصعدة.

الهوامش:

- (1) عبدالعزيز حسن البصير: ودمدني كرة القدم خلال مائة عام، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2004م، ص 17.
- (2) محمد التجاني الجعلي: ودمدني النشأة والتطور، منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة 2005م، 2004م، ص 53.
- (3) عبدالعزيز حسن البصير، مرجع سابق، ص 103.
- (4) محمد محمود الصياد، ومحمد عبدالغني: السودان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص 128.
- (5) ريتشارد هيل: على تخوم العالم الإسلامي - حقبة من تاريخ السودان (1822-1841م) ج 1 (د، ت)، ص 69.
- (6) عبدالعزيز حسن البصير، مرجع سابق، ص 104.
- (7) عبدالله علي حامد العبادي: أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1975م، ص 71.
- (8) أحمد، صلاح الدين الطاهر: التخطيط العمراني بمدينة ودمدني، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس - كلية التربية - جامعة الجزيرة - د.ت. ص 13.
- (9) مبارك عبدالرحمن شاطوط: ودمدني الروح، ودمدني، 1995م، ص 11.
- (10) عبدالرحيم سالم: ودمدني - بعيني طفل وذاكرة رجل، الأردن، 1996م، ص 13.
- (11) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق، ص 10.
- (12) لا أثر الآن للتكنات ولا المستشفى في موقعهما بالقرب من الجامع الحكومي، في المنطقة الواقعة بين حي المدنيين والمدينة الحديثة، ولا يزال منخفض على الشاطئ كان يعرف بحمام الجيش.
- (13) ريتشارد هيل: مرجع سابق، ص 70.
- (14) نفس المرجع
- (15) المرجع نفسه، ص 71.
- (16) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق ص 162.

- (17) نفس المرجع
- (18) المرجع نفسه، ص 161.
- (19) عبدالرحيم سالم : مرجع سابق ، ص 17.
- (20) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق ص 161.
- (21) نفس المرجع، ص 163.
- (22) ياسر ابو الحسن : مجلة آفاق الهجرة، مجلة بحثية يصدرها مركز السودان لدراسات الهجرة والتنمية والسكان بجهاز تنظيم شؤون السودانيين العاملين بالخارج، العدد السادس، نوفمبر 2011م، ص 93.
- (23) حسن عبدالحميد أحمد رشوان: المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، ط 5، 1989م، ص 107.
- (24) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع - شبكة العلاقات الاجتماعية - ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، القاهرة، 1962م، ص 25.
- (25) صلاح الباشا : اريخ آلة الكمان بالسودان، طرق استخدامها وأساليب عزفها (من منتصف القرن التاسع عشر وحتى عام 1940م) - ودمدني أنموذجا-رسالة ماجستير (غير منشورة) -أكاديمية الفنون - جمهورية مصر العربية، 1992م، ص 22.
- (26) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 13.
- (27) الأمين أبومنقة: رحلات الحاج وأثارها الاجتماعية والاقتصادية على السودان وادي النيل، مجلة الدراسات السودانية، العدد 14، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم، أكتوبر 2008م، ص 14.
- (28) عبدالعزيز حسن البصير ، مرجع سابق ، ص 18.
- (29) عبد الرحيم محمد خير: «السودان القديم: بداية صناعة الحديد في إفريقيا»، أدوماتو (المملكة العربية السعودية)، العدد الأول، يناير 2000م ، ص 35.
- (30) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 78.
- (31) عبدالرحيم سالم: مرجع سابق، ص 17.
- (32) نعم شقير: تاريخ السودان، تحقيق وتقديم محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة، 1981م، ص 208.

- (33) عبد الرحيم محمد خير: مرجع سابق ، ص 29.
- (34) نعوم شقير: تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص 201.
- (35) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 79.
- (36) نفس المرجع، ص 104.
- (37) المرجع نفسه ، ص 80.
- (38) عبدالعزيز حسن البصير، مرجع سابق، ص 18.
- (39) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 20.
- (40) أحمد خير المحامي: كفاح جيل، الدار السودانية للكتب، 1948، ص 78.
- (41) نفس المرجع ، ص 78.
- (42) دوقلاس نيوبولد: مذكرة السكرتير الإداري - 29 ابريل 1942م - ردًا على مذكرة المؤتمر، ص 149.
- (43) محمد بشير الخليفة : المجتمع السوداني في العهد التركي، (1302هـ - 1885م)، رسالة دكتوراه في التاريخ (غير منشورة) - جامعة إفريقيا العالمية - كلية الآداب، 2008م، ص 209. (43) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ج 1، لبنان ، بيروت ، مطبعة دار الثقافة 1972م، ص 1078 .
- (44) مكى شببكة: مملكة الفونج الإسلامية ، ط2، معهد الدراسات العربية، 1963م، ص 17.
- (45) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، الخرطوم، ط1، 1966م، ص 18.
- (46) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، مصر، القاهرة، النهضة العامة للكتاب، 1972م، ص 271.
- (47) محمد زكي المسير: اقتصاديات النقود، القاهرة، دار النهضة المصرية ، 1985م، ص 12.
- (48) الشاطر بصيلي: مرجع سابق ، ص 217.
- (49) محمد سعيد القدال: السياسة الإقتصادية للدولة المهدية، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1986، ص 24.
- (50) الشاطر بصيلي: مرجع سابق ، ص 180.

- (51) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان، ص 1180.
- (52) محمد النور ودضيف الله : كتاب الطبقات، خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق د.يوسف فضل حسن، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ط 4 1992م، ص 82.
- (53) محمد إبراهيم أبو سليم :الساقية ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم 1980م ، ص 203.
- * تورات : ضريبة من وجبات الطعام أو تعيينات العسكر الذين ينزلون في بلادهم حتى يرحلوا عنها
- * عمار : إناء معين لحفظ اللبن.
- (54) بابكر فضل المولى: مظاهر الحضارة في دولة الفونج الاسلامية، دار السداد، 2004م، ص 154. (55) ريتشارد هيل : مرجع سابق ، ص 71
- (55) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 152.
- (56) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 13.
- (57) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 153.
- (58) يوسف عبدالله الكارب: تجربة حياة في مشروع الجزيرة، (-1948 1980م)، سينان العالمية للطباعة، الخرطوم، 2012م، ص 25.
- (59) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 152.
- (60) عبدالرحيم سالم: مرجع سابق ، ص 33.
- (61) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 152.
- (62) سير هارولد ماكمايكل :(.G.C.M.G-D.S.O): السودان، ترجمة محمود عثمان صالح، ط 2 . مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، يناير 2009م، ص 222.
- (63) نفس المرجع ، ص 204.
- (64) إقتصاديات ولاية الجزيرة: للعام 2005م: ولاية الجزيرة، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، الإدارة العامة للتخطيط والتنمية والبحوث، ص 199.
- (65) عبدالعزيز حسن البصير: ألق الزاهدين وبرد اليقين، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، 2011م، ص 3
- (66) محمد عمر بشير: تطور التعليم في السودان (1898-1956م)، دار الجيل، بيروت - مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1983م، ص 25.

- (67) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 33.
- (68) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 63.
- (69) محمد عمر بشير: مرجع سابق ، ص 21.
- (70) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 82.
- (71) نفس المرجع، ص 129.
- (72) عبدالرحيم سالم: مرجع سابق ، ص 45.
- (73) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 124.